شائعة الفكاهة

شعر

الكيلاني عون



شائعة الفكاهة

الكيلاني عون

(كيف سأذهبُ للشارع

إذا لم يكن لي ظلّ شهيد !؟)

من : ذات حديقة

إهداء:

إلى : متى ؟!

فاصل :

↓

(سمعتُ منذ قليل أنني أضحك !)

شائعة الفكاهة

موسوعة المجنون الأعمى

ثلاثة قتلى:

الأوّلُ يتنفّس ،

والآخران يعبثان بالرصاص المتساقط من جسديهما

الرابع ينظر من بعيد ويفكِّر :

لكنّني أعمى

صمتٌ تدريجي ، القاعة بلا مـدعوِّيها ، بغائبيهـا الجـدد ، تفتـتح الجلـسةَ بأغلفـة فيـضاناتٍ وسـلالم رماديـة ، أفـراسٌ تتهيـأ لمأدبـةِ النجوم تنوء بأرائك الصدى ، حشراتٌ ستظل تشمّ الترابَ ، وعاليـاً يتساقط تفاحٌ ملدوغ وشفّاف ..

طاولاتٌ لضيفِ الأسلحة ، ضجّة مدافن موزَّعة التجسّد . جاء دفـاعُ الأيّل وضّاح التقشّف ، كائناتُ معاودةٍ تفسِّر جـدلَ مقطـوعِ الـدنوِّ ، أُرهقتِ العرّافةُ :

يُؤكل شيبُ اللحظات ويُنعسُ العيدُ

سيختنق إوزُّ المشيئة وما يحاذيه ، وغياهبُ رائحةٍ

بإيماءةِ

رمادٍ ، عادلون بجمهراتِ صهيلٍ ، خدّام مصاريع وجِراء أطيـاف..
وقدور لطبخ النبأ المموّه بعافية القوارب ، هديرٌ وأمطارٌ وباعـةُ جنـانٍ
وجنانٌ نفسها تتفرَّج أيـن يترهّـل النـاقوسُ وعنزاتـه القليلـة الغبطـة
بوابةُ عبورِ أكياسِ القطيعة محدّدة بالأنامل حتى خفقان آخر موضعٍ
للشبهِ

النزيلِ

فقرةَ الذئب

يا نحّاتَ التماهي قمْ لتوريةِ الآمن بقسطِ البهلول ورواق الذبيح ، نجِّ
إيوانَ المذعورين بخنفساء الـشحوب ، وأعـدْ للـبرازخ بـذارَ الخـيلاء
ميمِّماً معضلةَ المرافئ ورحمـة الغـدير ، خـيرٌ لـك أن تعطِّر ماجنـكَ
الخفـيّ بنزعـة فجـرٍ كـي تـرقص المؤونـةُ ، تـؤتي أُ كلـها عازفـاتُ
الخيال ، طهِّر الهزيعَ المحصّن بالشفاعات وأولياء الزبيـب ، علِّـمِ
اللقيطَ أنه جرجير الفواصل وخرِّبه بجلاء الأرانب وشعوب

المحطات

آفلٌ بقديد الهجير

بسماءِ كمآتِ المجهول

بيدين

وملعب أقوال

ويقين شؤونٍ تُرفع لحدائق العزلات

نسرك عالٍ يخطف أثداءَ السحاب

يعمِّم فتاوى الذهول ويترجم شهوات الصيادين

أحياءُ مسكٍ لعراجينكَ المسفوحة قناديلَ سهرٍ للرعاة

وزرافات مربوطين يمسحون جباههم بماء نظرتكَ عنوةَ راياتٍ

ملطّخة بسرقات الكحل الوثنيّ

ظهرَ الأخرسُ يابسةً تتمطّى فأين مشطكَ الغفور وأين

خِلقة الكشف ؟ وأين نوارس الحديد ؟ أين انتشال لا ـ صمت

الملامسة ، وحجر الثقة ؟

: الأفواهُ ملاقطُ الغرفِ البـاردة ووجيـب الـوداع ، والكتـفُ مقاربـة الشمع الهزيل .

أقراطٌ للأقبية تأخذ فراخها لهزَّةِ إعـدام ، معـودّةُ تـوبيخٍ لـشقيقاتكَ أيها التأويلُ ، نُدفُ حياءٍ ، قواريرُ ختانٍ

مهرِّبون وجلاّدون ، أنظمةُ قيـاسٍ للجنّـةِ / للتثـاؤب ، غـدٌ سـائبٌ للمكتشفين :

لن

لن لن

لن لن لن

لن لن لن لن

لن لن لن لن لن

لن لن لن لن لن لن

لن لن لن لن لن لن لن

لن لن لن لن لن لن لن لن

لن لن لن لن لن لن لن لن لن

لن لن لن لن لن لن لن لن لن لن

لن لن لن لن لن لن لن لن لن لن لن

لن لن لن لن لن لن لن لن لن لن لن لن

أعضَّ حوصلةَ النَّفير

لن

أخذلَ سطوةَ الانتباه

كنّـا سـنذهبُ للبحـر نكلِّـم شـيوخَه النـبلاء لِنحـدِثَ ضـجيجاً إزاءَ العملات المقذوفة لسكّان النأمة وفاقـدي الـرؤوس ، والكنـوز العائـدة بالجثث والتبغ والرسائل ومـا يـشبه الثمـار اللّامـسماة ، مـا يتلـوّى رائجاً للقوس

كنّا سنهبط عليه كالعـار، لكننـا سمعنـاكَ يـا مقـترف المـأتم تـشعل محبرةَ الهواء الأسير : البحرُ ذهبَ يبحث عن بناته اللواتي خرجنَ منذ مكيدة الودعِ ورَّاقِ مدخنةِ المغسولين بالشهود ولم تعد مناديلهنَّ أو تلـويحتهنّ الكبيـسة كـنهمِ الفقيـد للأبـراج المحروسـة بالـشراهة والسلاحف ، فجلسنا نلدغه بين النوافذ ، أحياناً تقع عيوننـا علـى سور السجن ونفكر : ربما لم يبحث البحرُ في الكفن المناسب

أو الدّهر السليط

حجرٌ يرتجف . نعومةُ جرحى سيحلمون بالطباشير الملوّن

: حجرٌ عالٍ كأنه سيقبض عشاءَ الغيوم ونثار الملائكة

حجرٌ ينبح كالتاريخ

حجرٌ يتقاضى الأرواحَ :

1 + 1 = صباح الخير ممدّدة لتُخاط

1 – 1 = مساء الخير رهيفة لتُبكى

1 × 1 = مسخُ الاحتشام يتثاءب لتحفظه بطونُ قبيلـةٍ ذائعـة هـرجِ الأسنان ، معنى لم يُدوَّن صار شبحاً خائضاً بركةَ اليـافعينَ بمخـدع سلطانة الخطفِ ، معبوراً برزقه .

قلتُ المكانَ وأعني جهةَ مغيبِ الصوت الموقَّر وحذائهِ الأخرق ينتعله باتجاه وكيل النسيم : أيها السمسارُ الثمين لي محفظة سُرقت عنوةً في فراغ الجرحى وإنني أتّهم الميّتينَ بالخيانة الـصغرى لأنهـم مـاتوا وكذبوا علينـا ، وبالخيانـة العظمـى لأنـني أراهـم يهتكـون أعـراضَ الشوارع ويبيعون اللـبنَ للتـاريخ الـذي وافتـه المنيـة تحـت مظـلاتٍ خُصصتْ قبلاً للكلاب وحاليـاً هـي بيـتُ سـيِّدنا مستـشار الأحزمـة الناسفة في حقول الحديث ، يتنفّس فلذّات خطوطنا ، وقيل أنني

آخر المجانين يا سيدي أليسوا هم آخر العقلاء ! وكيف
نحفظ توازنَ السفينة التي يقودها عدّة مليارات إنسان نصفهم جائعٌ
وربعهم برصى النـشيجِ والبـاقي جمّـدهم منظـرُ الـسهول المتدحرجـة
والنصف المسكوت عنه ربعهُ مأسورٌ والبقيّـة زوّارٌ لهـم ، ومـا تبقـىَّ
مثلي يعتصره ملاكٌ يشهد أنَّ اللهَ واحد والعبث واحد والمنفى واحـد
ولا شريك للدمع غير المرآة .

كيف سيعيش العقلاءُ بـلا مجـانين والأصحّاءُ بـلا مرضـى وإذا كنّـا
بخير فلماذا سرعان ما نبكي يا فرس السحاب الأحمر ومولى النعنـاع
المسموم ؟ كيف سيبتهج الخنجر بلا مطعون ، اليقظان بلا نائمين ،
المالك بلا مملوكين ، الجوع بلا جائعين ؟

حقاً أحبك كناطقٍ شبه رسمـيٍّ بإسـمِ الكتـب الممزّقـة ، أعطـني أيَّ
مفتاحٍ سأفتح أيّ شيءٍ وأضحكُ عليَّ طريحَ شفقةِ الوسواس وأغنِّي

بالمقلوب كما أعيش ضمن بيتٍ لا

يكتمل بشرفاته قبل الطوفان ، أغلقني يا بابُ يا ضجرُ لأنني

مجنون لا شرقيّ ولا غربيّ ولي وعيد الكافر أختلس النظرَ لسيقان

المدن وأعبث بالظلِّ كما يحلو لأمتعتي وكتائب حنقي الإعدادي

ومجانيقي **تدكّ** عاصمةَ الأقزام والمؤمنين بالشدو المفطوم على

كراسة الإثم والشهقات .

هراءٌ نعقد تمرينَ الموالاة لأظافر **القيظ**

هراء نتلفّع بالصحراء ، لرمّانها طعم الفضيحة ، لسفائنها نعوش

المياه المنهوبة ، لطيرها هيكل الدم الموطّد :

الأول يتنفّس

أنا رأيتُ وكفى !

وإن كنتُ أعمى لماذا تضحكون من حدسي النبيّ وتكرهون تراتيلَ

عفوي النائم ببناتِ البحر الغبي ؟

والآخـران يعـدّان الرصـاص المتـساقط مـن بـدنيهما كحبّـات شـفقةٍ
وأحياناً كسناجب ذكرى ، رأيتهما وحدي وسـلامي عليهمـا ثانيـة
لأنهما هناك وأنا هنـا أناشـدك بعـاداتِ العقـلاء أن تـستمع لأعمـى
مجنون ويرى
لأعمى يقود حمارَ الحكمة خلفه وتسبقه شـائعةُ الفكاهـة . يـا مـولى
النوافذ الفارغة املأني بالهداهد وعطايا أمراء النخاسة لأوهـمَ نفـسي
مرّةً أنكَ تراني أو سأوقف لجوءَ الهواء ودخول القمر وخروج العناصر
أنا خوفك النجس بويل المشافهة وعندي بنات آوى وساقية البرهـان
وجدّي كان يطعم السباعَ والجّانَ فلا تجـنح لمحكمـة الـورل الـدوليّ
سأقرأ عليك سورةَ فلسطين كاملةً وسورة العراق ولبنان وآياتٍ أخـرى
أعلمهـا أنـا وبنـت البحـر الأثـيرة ، ويعلمهـا الإسـكافيّون جميعـاً
ضجرتُ ممّا رأيتُ وشـهادتي مبتـورة الفخـذين لأنـني وُلـدتُ آخـرَ
الشهر الأخير من عام القمح كصورة والجبن نسرقه ونحن نلهث

كعمّال نفاياتٍ شاهقة

وكلُّ الخنازير تخاف لونَ لساني وها أنذا أقرأ مجدّداً تواريخها الرومانية وأرقص كوني وحيدَ الجنّة ووحيد الشبه بالظلِّ :

رأيتُ

رأيتُ

رأيتُ

رأيتُ

رأيتُ



أنا الهامس لنفسي : رأيتُ

وقيل أنني مجنون الشاطئ

والكهف وأُحبُّ الشهداءَ فرداً فرداً كعائلتي الغائبة ، أحبّهم وهذا فرضٌ آخر ، وعندما أعبر تحت سور السجن أبكي يا مولاي أبكي يا شهداء لأنني أفكر بأحدٍ لا أعرفه : ربما هو بحاجة الآن إلى نزهة ، كوب ماء ، أو حتى ربما الآن يتذكّر معنى كلمة شارع أو نافذة ، آهٍ لماذا أقول

ذلك ؟ غفرانكَ يا هديّةَ النوم يا ألمي ، رأيتُ وشبعتُ بالجوع ولم أضمر شراً لسورٍ أو مذبحة نعاسٍ لكنني مجنون وكفى .
ليست حديقةً مسروقة إنها صور فلذّات أتراحنا ، أنظر أغلبهم مجرّد أشلاء ، أنظر ربما يرزقك الله بعماءٍ مثلي ، ليست رسائلي فأنا لم يمسسني غلافٌ ولم أكتب سوى عن الراحلين ، أنظرْ فهي المرّة الأولى والأخيرة التي أنعم فيها عليك بالفهم واليتم الصريح فلن تقرأ بعد اليوم غير الجنون وهذا فرضٌ عاهدتُ عليه أطفالَ القدس وقانا وبغداد ، لن يفهمني غير الجنِّ والشهداء ، سأكتب معصيتي وكفري بالشمال والجنوب والشرق والغرب ، أكون سيّدَ العميان وصاحب الصور: سمُّوني صاحب صور الشهداء بحقِّ المشانق وحقِّ البكاء وحقِّ المعتقلات الحميمة .
ضيفٌ يدلق تعابيره أمام شرفتي ....

فاصل يتذكّر نفسه :

لا شيء ، المرأة الوحيدة / جارتنا ، فقدتْ إصبعها
وجده أبنائي يشير نحو المطر فأهدتهم ديكاً كلّما مـرَّ أمـامي عجبـتُ للقرابـة بينـه وبـين العجـائز ، أراه منهمكـاً بـالركض فقـط ، كأنـه يتعجّل القارعة .
أمس قتلنا العقرب رقم 13
أوّل أمس فاجأني النعاسُ وأنا نائم
وغداً أكره طريق العمل ، هل يذهب العقلاء دائماً إلى العمل ؟ عادةٌ مترفة بالمسدّسات وحوادث الاختطاف .
زوجتي تسألني لماذا لا أتكلّم / عندئذ أتذكَّر أنني أستطيع فعـلاً أن أتكلّم والواقع أنني مجنون وهم عقلاء ، ولا أحد يصدِّق أنني أحبّ الشهداءَ حتى العرق .
النهار باردٌ ، لم أنم منذ يومين / أتخيَّل شهيداً يرتفع في غزّةَ .

أخافُ عليكِ يا فضَّةَ الطليق يا أعلافَ الطفولـة ، أخـاف عليـكِ يـا أزقّة الحريـر ، كـوثر الزّفـاف ، يـا ومـيض الرّسـولات ، يـا سِنَةَ أحافير ، فألهج بالسخط الأمين وأحبو شهيداً

(نهاية الفاصل)

ماذا كنت أقول يا كواكب ؟
لنبدأ ثانية كأقرباء ، كحمـائم دنيـا حقيقيـة لـيس بهـا عقـلاء فقـط فالمدينة واسعة ولكـن تنقـصها الملائكـة الـتي تجلـب المطـرَ والمغفـرة وتنقصها الحدائق العامّة ، لهذا قـدّمتُ لكـم طوفـانَ الـدمع اشـربوه ألف مرَّة كلّ يوم ، كلّ مذبحة ، ولكن لا تقطعـوا الأشـجارَ معبـودة هذياني ..

رأيت الأول يتنفّس ويغازل أجساداً رسمتهـا غرانيقُـه ، أقـسم أنـني ضحكتُ متودِّداً إليه فقدَّمني لإحدى الغمامات

قائلاً : هذه كنّتي الصغرى .. هي أيضاً جلستْ بيننا تتحدّث عن قصدير السّاعات وتهدِّدنا بالوشاية .

يا قاريء العدس وقفطان المحاذاة أعطني بلاداً وأتكلّم ، جزيرةَ محجوبين لأبايع جاسوسَ الصورة ، ثم الغبار الحيّ لموقعة الثدي الجنين .

اللّاهبُ مدفونكِ الخرافيّ أخيراً يتسوّل مرمى سراجٍ ليغزل مادةَ الهتاف الأقصى : النومُ بيان التحرير صنوَ غزالتهِ يتمرأى فاغراً شقاءه منتزعاً المرآةَ من أيادٍ مليئاتٍ بالمباغتة ، جمالُهُ جريحٌ لكنّه يتماثل للضحك .

سأضحك مديداً يا إلهي فالعِقابُ سطوع الزينة والولادةُ زوج السؤال : أيهما أولاً : المشنقة أو التهمة ؟ الشرق أو الغرب ؟ القاتل أو المقتول ؟ (في ثنايا الصيد سأكرّر على شرودك ذات الغواية : أعطني بلاداً لأمنحك حلاًّ صافياً

مثل شهيد) .

ماءُ النسيج المتعبِّد يراقب ضرّته : الرياء ، نهبهُ مزخرفٌ بواجهاتِ النطق ، حلوٌ مذاق العاصفة والرعد وذاك حِراك جنس الزرقة قبل سهم المشاهدة ، كلّ مذبحة أحبّكِ أكثر يا عينَ المتّهم بالرسم ، كلّ

مقـبرةٍ أصـلِّي لطـيرِ المـدارس ولـوز الجيـاد الـتي حاربـتْ وللمتهـا الخسارةُ .

يا طفلُ نومكَ وهّاب الملاجيء

....

....

التبدّد تسكين الثمرة المضاعفة ، الإسمُ حبـلُ مقاربـاتٍ فجـأةً نفقـده بنبيذه الكاذب ، عشبٌ بألمِ المحجوزة عليها رداءُ سكوت

طواحين ترفرف بأوسمة مقلّدة ، بوقٌ تنفخه الحيّاتُ ، ألويةُ أحلامٍ

مكتوبٌ على جبينها هربتْ أمي بزاوية الماطلة فحبلتُ بها

وأبي مقطعُ رصيفٍ ساهٍ .

يا حصارَ المناديل ورهبانها

ورشتهُ مقيّدةٌ سيفكَ المهان بالأخاديد الملغومة وعزّتـهُ سـوداء البيـارق سأشـدُّ لفيـفَ النـذور وأرميـكَ بالنـائمين والقـائمين والـراكعين والمسلوخين البررة ، وطباع السّدر . وأنتِ يا قرنفلة المسرح المهتوك

....

أسامحُ أمَّ خدّيكِ يا رياحُ ، أرشُّ عليكِ زيتَ حنقـي فأخـسر طوافـكِ المرير ، أسامحُ ترابَ السّلام عليكِ ونمنمات الأعشاش

أمس أُشهرُ ظلِّي ، وغداً لكزته كفوضى

عندئذ تدير برهاتها العتباتُ يتمظهر الهسيسُ

تغدو دفاعاً أقلّ

لذاك الّلامرتسم المُعزَّى

نافياً صرخةَ البياض وسلاح مأهوليه

يكون منتظراً البيتَ صمتٌ جرفته مآثرُ الضباب مهراً لأشدِّ الـذنوب

أدلقنَ بنفسجات السّحاب وبـشِّرنَ القلـوعَ بـسفور الطبـول ، هـشِّمنَ

خوفكنَّ يا أمّهاتَ يديّ كافراتٍ بالسخاء الرجيم

بدني ساحةُ الحرب

بدني القدسُ ويوم القيامة

بدني هتافٌ وأعلام

زغردي لهذا المجنون يا فجاجُ واغسليني كطيرٍ أرجفته الصّلاةُ .

ثلجاً أريد وعتّالين للظلام المهيمن بألواح القراءة

يا هبةَ لا مستيقظٍ ، نهدَ نهدِ السراج المتكلِّم تغدو ضامّاً ثمرَ المواجهةِ

وليدَ الصائرِ مرتدياً ظلَّه

سمعناه يسمعنا صباحُكَ مؤرِّخ الرنين بإناثـهِ الوئيدات بين أدوار الغيوم ، الحاكم بخبيئة الأنقاض على مسطبة اللوح المقطوع يقدِّم جزائره لفحولة الهتاف ، سمعناه يتبع وُلاةَ المكان الممزّق بندوب الجوّالين ويسترشد بالمجرات يصنِّفها فوق السرير ، ونهرتنا مهاميزُ النعاس فخرجنا لمراسيم الأحلام ومذاهب العراء وهناك ترامتْ هضباتٌ نرفعها كالبقرات إلى مخدع الصوت ، هناك قلتُ لامرأةٍ : أين مركبة الوميض ؟ فأوعزَ جرحٌ محاربٌ بإنبيقِ جهامةٍ أخرى وسمعتُ تراثَ الغزوات ، خريرَ الدماء وسطوعها .

ثلجاً

وذخيرة نسيان أريدُ . ولا حجرٌ لا يدلّ جيوشي .

سأخبز نظراً للعائدين مع خيط الشهادة

أتنسّمكَ مطلق النوم ، خليل المزاريب ، لنا موعدٌ تناثرتْ بنادقه فرأينا السماءَ صريراً سيدخل بيتَ الرهائن ليبشِّر أدوات الزفير ويعلِّم حشدَ الفصول ورتل الفراغ

لا سروج الكمائن ، سكرة الصوت ، وشم الإزاحة كان يدري بما خبّأته المعافاةُ بين الحصون وكنتُ أرفرف داعيةَ كناياتٍ لذا فاتني مسرى العُجول وهرطقة الثعالب ، فاتني مديحٌ بكامله ، وعثراتٌ وخياشيم سارحة ، وكذبتُ على نبيّ الأشكال بأنني اغتباطٌ يستطلع المناجلَ ، يهذِّب جرارَ البروق ، كذَّبتُ حجلَ المتاهة . شيئان وأُبرم صلَّ المكاييل وقرميد القطيعة ، شيئان هما قربةُ نهبٍ ومحراثُ يابسةٍ تتدلّى نحيباً .

الأوّل والأخير يدكّان المنظر : رأيتُ نفسي تعاقب نفسي ومتاريسكَ تأكل رغيفي : أأنت جوعان ولك حصائر الذهب وألف ألف جارية بيواقيتها وندوبها ،

أأنت فقيرٌ مثل بريدي تسدّ فرحتكَ بالعيد متّزناً بهالة عصيان .؟!

سمعتُ الساقيةَ التي تحبّ أمّها كثيراً ويمقتها عسلٌ ضيّق ترشفه صباحاً وتعلّق ذبابه بين الموقد ودرس الجداجد فتحترق ثيابُ

العنكبوت المجاور وصيةَ الفطنـة وتلـوذ الأمُّ بأسمـاءِ الـشهداء بينمـا تـستغفر البنـتُ حزنهـا وتكـنس رفـاتَ قـدورِ حنطـةِ عـامِ المجـزرة وتخرج بين شفاعة

السدّ واليُمن لتقول :

هبني عشائي أيها الليلُ

أنا كذبةُ ظهور

أعلِّم الحالمَ

كيف يرتدي النومَ

الناسُ طواحين بلا قماط

أأنت خائف كمعصيتي ؟ رأيتكَ تـسأل الملـحَ ، ولـي فيـه ذَكَـرٌ مـن أقربائي ، مفاتيح سرادقه ، نوارس دمعته ، أأنـتَ تـرتعش كغـصنٍ يتثاءب كمائنه ، كرحمِ الإشارة ؟

ما يرتئيه فاصلُ البوح :

السّلامُ على قدميكِ إذن

يا أمانةَ الصعلوك ، محراب التمتمة ، هذر الموتى ، شراب الأنبياء ويقطين المرويّ ، عليكِ سلام الأصيل يا مراوح البعث ، أمّةَ الحطب النيء ومئزرَ اليتيم ، سلام أُمِّي عليكِ يا رياحين المراكب ، وأنتنَّ يا سافرات الإصابة سلامي أصغر من جبل لأبنائكنَّ ، وأنتِ يا ندوبُ

مُرِّي غداً أعدُّ فلولك يا أسلاب الكائن ، يا عربات البراري وفرو الوجوم ، مرِّي عشيّةَ وريدٍ يفرُّ بأحلافه وبرقه المتهدِّل على نوافذه الصارخة ، مريّ خفيفةً كأطفالنا الذين كبروا فجأة وهم يسرقون أضاحي الحروب وقوت التلبّث ، كبروا قبلنا ، مرّي غداً يا ينابيع يا أمهات الينابيع وعمّاتها

فاليوم لا أرى غير جنوني الوثّاب

بـ

ا

ل

ش

هـ

د

ا

ءِ

مرّي على أوّل القاطنين دمي ، مرّي بعد عينيكِ ثانيةً وثالثةً وألفاً ، ممشوقةً كالنوم ، مرِّي بعشائرِ غفوتك سأراكِ وأبشِّر بالحرب

هكذا

أستفزُّ كيدَ النشور

بأترابِ هندسةِ العزيف

مرتجلاً أحكامَ الجواب

أعطني فخذَ سرقات الهدنة ، أرجاءَ المستأنس لدراهم الرضوض

خاتمةَ حساء التدبُّر وفراسخ البراءة أعطني

بلاداً

كلّها

وأتكلّم بالظلِّ

أعطني يدي

لأُشذِّب الزمهريرَ وأتملَّق السراب

أوشكَ زنادُ المواويل وغزلتنا أسماعكِ راياتَ شهبٍ يا محطاتُ

...... بلاداً وأُنكِّل بعظامكِ يا زرائب الأشكال

نوى الفرجةِ .... بلاداً

وأضرم غيهبَ الجنون .

كلّما

سرقوا ثيابَ اللكنةِ

جهرَ السّطوح

قلتُ لمستثمر العرش خذها ، خذْ مزرعةَ الأب المدان بقيلولة السخرية عليه حرّاسٌ خرافيّون يضمرون ولائم مُرَّةً لنقرسِ نقائضهِ .

خذْ حفاةً خبأَ الشّوكُ ضفادعهم المبرّأة ، سُكّرَ الضوء ، شطحَ سلاله بفروج الدّوار

خلّد الأثير ، منطق البحيرات ترجيء نفائسها تدرّ تصاريف القرين في دور الصيحة ، خذْ عسكر القطن يلبسنا خاشعاً ونلبسه

خاشعين ، خذْ عورةَ اليقين ، شحمَ الهيمنة وثيران النبوءات

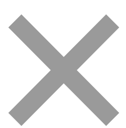
جميعاً ، هنيئاً لك روثُ الفخامة ، خذِ الحوتَ وبطنه وسلوك الأصباغ على ظهره واترك بقيّة النجم لصباح يسدِّد التحريرَ . يا ظل الله في الزنازين

هبني ضحكتُ هل تسرق أسناني ؟

أحيِّي اللامكتوب هامش أفاويح المران لو ذرفناه

وطأتنا الأفيالُ

لا نخرج وحدنا بعد الصداقة
مثقال حزنٍ بألف جريمة
ليلُ الصباحِ أيضاً بلا أحشاء بعكّازهِ من سِفاح الجلود
وغول النعمة .



الظلُّ مجزوء الوافدين ، يستوفيه نوتيّون علّقوا أقواسَ قزحٍ وناموا بحجم الوقار ، هل رأيتُ عهدَ الشاطئ يستسلم للقبّرات ، مختارَ الشِّباك يتنكّر لأعضاء الحاضر ؟ الحاضرَ يتنمّل بمثواه كأعرج أحكمَ معطفه لأهواء الخندق ؟ ..
بعيداً مصبغةٌ لتداول السّديم . رُوِّضتْ رابيةٌ أخرى لمعركةِ ثبوتِ هلال الغبار وأشغال منعطفاته ، قليلاً ويُعهد إليها بالتماثيل . قليلاً كسروٍ يشتعل منفاكِ يا دروع ، ولستُ ميثاقك يا خفيضة الفحم
من سيصل السِّتارة هرَّ لهاثٍ ويختم نمرودَ مسرحكَ يا حصار ؟ بلاداً وأُنشِّط قمرَ الثّوم ، معصرةَ المحيطات .

بلاداً وأبدأ من أوّل السّطر

....

....

....

بنوافذ ومفتضحين لمعجزة التدبير سربُ برتقـالاتٍ بـين الغيـوم ذات المرات المكشوفة للصيادين ، وحـدها المـراتُ تقلِّـم الـضوءَ ، ضـوءَ العابرين لأخر مطرقةٍ تتمرّن علـى القطـاف خلـسةً حتـى لا يـنهض الجرادُ المنوَّم وحتى تهرِّب العاصفةُ أطفالها قبل المهنة وصياح ديك المياه بنوافذ

شاحبة .

يركضُ ، يركضُ علـى الـرذاذ قـربَ مـديحٍ غـامضٍ ، قارئـاً فخـاخ الغيب ....

وأعمى يرى !

تفاصيلَ الفكاهة

البابُ السّاهر في الظلّ

إهداء :

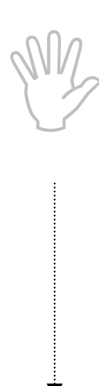
إلى محي الدين محجوب

.. كنّا نعدّ حواسنا ونربِّت شَعرَ يومٍ سريع كولدٍ
لن يذهب إلى المدرسة، لأنّه افتراضيّ، ونحن
نقسم بأنه كان حقيقياً .

الحدسُ ميناء



الأمُّ ساعة



حذار

الفخّ يضحك

والفتوحات قليلة

؟

:

يُروى ، والسحابةُ نكهةُ هلالين : السياج وشأن البحيرة

أنهم شاهدوا السمعَ بلا ثياب

فناموا :

البقعُ مرايا ، لن يكون علينا

سوى التثاؤب قبل

النهوض لمعاقبة العين



ودفعاً لهوام عدّة خيراتٍ قاسية فإن أجمل سقف

يأخذ كلّ الألوان خصوصاً وهو غطاؤنا الأخير، حيث

نعطيه ما يحلو لنا من الوساوس

قبل أن ننام

هل رأيتُ أحداً يسقط من سبات الخطوط ؟

أم بهرجة ظلام !

عشاءُ هررةٍ ونجوم وركُ الحكاية الزرقاء

وقيل: وفرةُ مراهنات ، ليس عليها

أحدٌ أو نبأ............ الليل يقلِّد النهارَ بالطواويس

تذرع

جبالَ الظلِّ الشاهق ولا تصل ، نجّارون

لحواف النزهة يتسربلون بصحراء

قطافٍ لا مرئيٍّ

للوحشة ، متفرِّجون لا يحلمون بشيءٍ لكنهم
عقدوا التأويلَ
الماجن لهبوب القرائن

هتافٌ :

يا بائعَ الظلِّ أريد شربةَ ماء
يا مرآةً زوّجناها طباشيرَ الطفولة أبحث عن شهيدٍ
يتفرّسني وأنا أقضم كفِّي علانيةً
وأدلق خابيةَ العرق

↓

الجغرافيُّ مرَّ كسيراً

رسمَ نفسه وآثر ألاّ يتكلم قبل خزائن

السحاب

كان عليه أن يسأل البحر

هل يشعر بالبرد أحياناً ، والحزن أحياناً

ودائماً ينادي أمَّه: كيف تبعثرني النجومُ في المنام

وأراها صباحاً عند فراشي

صديقة ؟

الجغرافيُّ أكلته الأصواتُ

أضربُ رملَ البلاد وطالع الهجيج . . . .

. . . .

سوف نضحك مجدّداً لأنّ التأويل ينفتح بجواريهِ على بهوٍ مخادع

ظاهرهُ لا يُرى وباطنه يعلِّم جيشَ النظر .

كمثلِ غوايةٍ يُولد المرتبك بجثّتهِ

....

....

متنُ حواشٍ وزمهرير ، رأيتُ ثغاءَ المحطّات وأيام اليعاسيب

الأليفةِ، كلّمني بشورى أرقهِ النومُ.

رأيتُ نساءَ النوافذ يغسلن أحزانهنَّ بماء

الريح

وليل أخريات

جئنَ بقناديل أصواتهنّ

بين حشرجاتٍ عالية

كانت الرسومُ واهنة لفخامةِ النوم / ديوان الوطأة بلا

شكل

ومتاع الإيماءة الأخرى

أيها الجنديّ الرمليّ لا أحد غيرنا

سيسرق لونَ الخرائب

بقيَّةَ جميع الفوانيس ، وأولاد الأشرعة

ونسب الفراغ

مقاطع من حلم شفاف :

سمعٌ يفرّ

(الثعالب تلهث لاعتباراتٍ أخرى)

هكذا يُوصف الليلُ بين إسكافٍّ وأصابعه .

: بكلٍّ تراءينا وما حملنا أسرابَ الكلام

نسيناها تودِّع أرانبها الجريحة

جئنا بدون مسافات

خلاءٌ يتمطّى:

أوقدِ الصمتَ ، للتوِّ تبرَّجتِ المواويلُ سانحاتٍ
لأحزانهنَّ
دخلَ هلالُ الشهر القديم حافياً
الليلُ نهارٌ يرمش بهذه الكائنات وخنّاس
ماشيةٍ أرهقتها الكلابُ

كان الظلُّ يدشِّن عزلته
وفي زاوية المشهد
لذاك الغائب
شِباكُ لا ـ صبرٍ
قاسٍ

....

....

....

كقرينٍ

يتفرّج

على

الديكة

ويضحك

سادةُ الأثير :

حفروا عميقاً حتى الصباح

مدجّجون بضباع المباغتة

ذئابُ عرقٍ تلهثُ فوق وجوههم الأخيرة

نسيانٌ ما كاد يلوِّح بآثامه
انفردتْ به قرابةُ الزفير

شجرة :

أعطها بلادَ اللغز
فهي لن تتكلّم قبل الثراء
أعطها مجملَ عهد الأطراف منذ حصارها القديم
شرفةً أم تنتظر شهيداً
غزالةً ثابتة
نهراً يتيما

المذبحة :

لماذا رأيتكِ

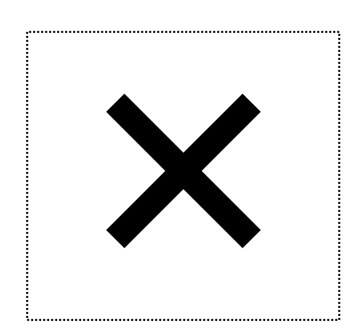
بين طيّاتِ

الطفولة

معلّمة أقواسٍ

؟

ملاذ :



سأشتري باباً للضّحك

مناشف لموسوعة الرذاذ

غيوماً للمدرسة

وظلاًّ واحداً للجميع

تأخير :

....

....

.... لم ....

.... أغضبْ بعد ....

.... يا ركام ....

أرضُ ضحكٍ متاخم الهتافَ

المتقشّفُ ، إسكافيٌّ الدبيبِ ، شاهد منحة الزفير

بياضٌ شحيحٌ يكلِّمنا من وراءِ غيمتهِ

يا جمال المنتزَع وعروسه

هذا سلاحنا كلّه وخشب رواته

سنقاتل

كلحاءِ السلالات المنهوبة

ثم سراجٌ بلا مقاربات

تأويلُ أغصانٍ حُملت سراً

وتلك روح عينٍ .. تلك ستقع

بهذا التبدّد

ولكن لتخلِّص اليقظةَ

وثمين السهو . لا أضغاث زجاج ستمشي

دموعَ رمادٍ بين ما تسوّيه المكائد .

ما يلي مؤسّسة الملاك النائم وثروته المنهوبة

طيفٌ أخرس

يسقط الظلُّ أولاً ، تليه صنوبرةُ الشريك

المصاب برحيم العلامة

مديةُ نسيانٍ بين الحديقة والأخرى

الكتفِ وهجرات الدّم المصفّاة .

للكلام تاج قطيعةٍ إذِ الرحابةُ نار

قانطٌ بسرابِ منذوريهِ .. وأنتم نباهة اللعاب

المرسّخ

حديد المبعوثين :

لا تقلبوا تصانيفَ الحرب

وبخور التسلّل

ذُبحت وصيفاتُ الرداء الأمين

دُوِّن عقابُ الفضّة :

أُسعدتِ هشيماً يا مخلوقةَ البهو المنيع

بين الحذر والمنزل

صورةُ ماءِ اللاّشكل بنبيذ صرخته ..

وعلينا حريرُ التماهي

تراثٌ أكبر من السجن ثيابُ النهار

قناعٌ فقيرٌ أثرُ الخطوات ، والصرخةُ وزنُ

تحديدٍ

جُوبه بسمعٍ منوط بالوشاية

أرضُ ضحكٍ متاخمٍ الهتافَ

عظامٌ تنكِّل بالظلِّ

اليباسُ وجيبُ النائم ، بداهة عطشٍ

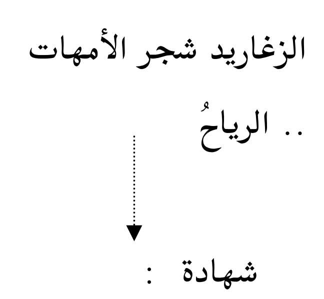
لا دمية لمصباح التلبّث / تهديد النوافذ

ورزق الجراح

طيّاتُ انطفاء هنا ستشهد المناديل :

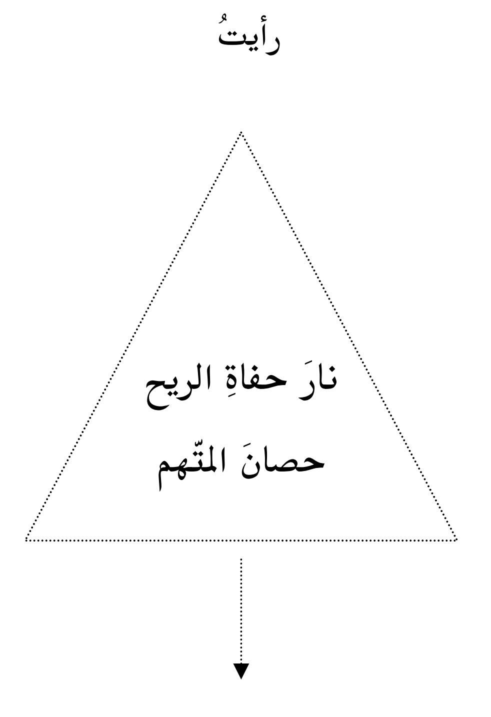
الزغاريد شجر الأمهات

.. الرياحُ



شهادة :

رأيتُ



سمعتُ النومَ

فلتأكل المشطَ السويّ / حصانةُ الوعيد !

نقلاً عن الفكاهة

يا سراجاً

في بيت السمعِ

لمرآةٍ تنام

سيأتي الظلُّ بسلاحٍ مُعزّى

ستشرب خرافهُ السوداء

مع الطير الأوّل

عندما يُرى كشخصٍ يفتتح

ضريحَ

النورِ ،

متأنّياً

شقيقَ الضحكِ السائدِ

قبل هناك

أنجزَ الصباحُ شِباكَهُ الممزّقة

للذين سيعبرون بألواحِ الظهيرةِ

الثانيةِ

ذكرى مكانٍ لا يتوقّف

نقلاً عن الشرفةِ

ومراكب صيدٍ يؤخِّرهُ حُبُّ النساء

:

يُنظرُ إليهنَّ

لابساتَ الماءِ الناعسِ

يهبنَ بلاداً أخرى

لأبنائهنَّ

غيرَ التي فقدتها العصافيرُ

عذراواتٍ وأيديهنَّ يعرِّيها النومُ

خليلات التأويلِ

يا سرابكنَّ

مثل ردهاتِ النفيرِ

يرسِّخها تلاميذُ شظايا اللهاثِ

ومحاربون حُوصروا ليلاً بوجبةِ

تحرير

كلُّنا وسطاءُ اختزالِ

الفكاهةِ

بعضنا جمهرة اغتيالِ المنظر

نهارَ جيشِ الريح

بأجزاءِ حراسةِ ما يحفظه الرواةُ

مبجّلٌ بقناعهِ المحايد
البابُ ، لو يتكلّم بقطافهِ النادر

كلُّ أبٍ أعمى
بمطلقِ صمتِ
اللامائتِ وحيداً
ملكٌ ينظرُ للطير بسيفٍ ثمين
ناهباً شتاتَ المسرح

مبجّلٌ هذا الرسمُ
قبض وصيِّ الخزّافين
ثملٌ بحيواناتِ الرذاذِ
موتهُ يمضي نائماً إلى المنزل
وأمُّهُ تلوم معسكرات السحاب

قبض ما يليهِ رهانُ الكمينِ الزائغ
عُلِّقَ حوذيُّ النأمةِ

محظياتهُ الآفلاتُ السفورِ يرهبهنَّ

الصراخُ

وعليهِ المناديلُ ساهرة

....

....

كنّا نراهم صباحَ حديقتنا

بآثام هندسيةٍ يندلعون ضفادعَ

تبرير :

نجّارون بأحذيةِ مرابين

عسسٌ هلاميون وراءَ طرائد لونٍ

لا مخلوقٍ

مبشَّرون بقذائف هدنةٍ

مديح غاباتٍ لهتافِ الخرائب

فقهاء المخازن .. عمّال الوجوم

مهرّجون ، وباعة واجهات

وخزائن

سعاة فتاوى يقضمون الريحَ

جباة النزهةِ والنوم .

نقلاً عن الغرفةِ

كانت الثيابُ تفكِّر

بما سيحدث للظلِّ !

هل أدلُّ عليكِ

زيتَ الشّفاعةِ المهيمنِ

كيمياءَ جنّةِ الكلامِ الأخيرِ

أم أصطفي هفواتي

وأمحو بريدَ الظلِّ !؟

نقلاً عن الفكاهةِ

كلُّنا شهداء

الفاغر سطوته على الزجاج

ليلُ نهارٍ

وذاك البحرُ

يغدق مثواه بجنح الأسير

عليه زرافاتُ فضاءٍ ويقطين

هروب .

أأنتَ ضرير الولائم في زريبة الرائحة ؟

الأدلاّء سقطوا من برجك ، وعزباواتٍ يطبخهنّ

المجازُ

يغسلن الطرقات بكلامهنَّ أو يخبِّئنَ المناديلَ

لمراكب صيدٍ ستغرق

.. ستحوِّلهن فراشاتُ الدهر أمهات بعد قليل

لتهب عينُ العروس أسناناً لأبنائهنَّ

ـ سلّمتُ عليكَ كأمّي ـ ورسمتُ :

ثيرانَ الغسق المخصيّ

من سيهتف لمدعوِّيك

ومن سيشارك بالنأمة

ورغيف البخور .

وأنتَ حدثُ الأخرس مليكُ الذهب العليم

قنديل غزواتٍ تربِّي الماءَ

هبة منفى

وبعثة تأويل الهسيس

بابٌ ممّا تُرى يركض ؟

العتبة والقمر بين التماثيل

ويدٌ تنبش إثمَ السفور

عجينةُ كلامٍ صنوَ ممحاةٍ تسّاقط مفاتيحَ جمهراتٍ

بروقُ زئيرٍ هو المسرح اللقيط

عورة تهديد بسناجبه الأكيدة

سأعدُّ النوافذ شجرةً شجرةً

والمتاريس حقلاً حقلاً

والكاهنات سديماً سديماً

وأُبشِّر

بالضحك الذي لا ينام

أتدلّى ـ هل تراني كثيراً ـ

من بخار الشوارع وأبّهة السطو المعافى

وطواحين الخفاء ، ومأزق اللّوح ؟

أُذنُ الليلِ مخبّأة لكنَّ الأشجار تصل السهرةَ

بطيورٍ أنجبها الإصغاءُ

حين تكتمل الغابةُ سأزفّ جحيمَ

البداية :

قارباً قارباً تشحذ المراتُ طينها العاكف

على أباريق الشحوب

فلا تأمننّ صفيري

أيها الحفل الرماديّ لآنسات الجنِّ

سأحاربُ

حتى

آخر الضحك

نهارَ

ليلِ

الفاغر سطوته على الزجاج

وربّات الصيام

قرأتُ كفَّها فجاء الليلُ

أسرابُ سكون تتمسرح و الحديقةَ

بابٌ ينضج بأمثلتهِ الشغوفة بمذاق العجائب

أسماكٌ تعبر زجاجَ الشارع

سهولٌ رمادية تتكلّم لغةَ دهماءِ حشدِ مرآبٍ بوضوحِ

ما يلمعُ خلفَ النوافذ

معماريّو اكتفاءاتٍ ، وقرّاءُ سطوحٍ ستغدو لهجةَ انتحارٍ

حقّاً سأغمر الفتاتَ بعدالةِ المنظر

عقابِ لا ـ لون الهسيس

نياشينِ مخطوطةِ الثأر

والظلُّ صوتٌ مرسومٌ ، مفاتيحه هناك بين دُورِ الكنايةِ

وبطشِ المعنى

وله أكماتُ نزوحٍ
جرعةُ ظهورٍ وأسمعهُ يلقِّن اللّهاثَ وطاويطه
الينابيعَ قارعةَ النّحاسِ

كَذبَ جباةُ السّمعِ / خفراءُ القسمة
لا صباح يتكلّم
فقط ضجّةُ ألوانِ البارحةِ
تنهب وليمةَ الفكرة

الجيادُ ذاتها
عبرتْ هزيمَ الحشرجات
أكلتها صروفُ الألوان

أفكر للتوِّ
بعضنا يتماثل للمراكب
والآخر ينتبه للضوء

أشجارٌ صفراء بعيدة

تحت وابلِ السّهو

تغيبُ رويداً برائحةِ اللغز

أقولُ الماءَ لبقيةِ الرماد

الصمتَ لفخامة الموج

المكيدةَ لمدجّجين بنبوءاتِ الكسوف و ينامون

بأصواتِ الأشباح

أنا وحيدٌ كما أحببتكِ

بأسمالِ الحنق

أعبثُ بالقضاةِ وشهود الوليمة

أدخلُ شهوةَ الضحك :

بحيرةٌ وأمّها

اثنتان

يصفانِ الفكاهةَ بأنثى الوجوم

أعبر سرابهنَّ

لوراثةِ المجاز

نائماً

قرأتُ كفَّها فجاءَ الليلُ

هكذا ....

ذرّيةُ مطرٍ بقرعهم المستبدّ يوارون حرثَ

الأقنعةِ وكلامها المصون ... هكذا

أُسلِّم عليهم وأنتِ غافية تتكلّمين أم يكلّمني سهرٌ

آخر

يتهيأ لمكتبة البخور

هكذا أبدِّد منجمي وضاحية مولاتي الحزينة كنفسها

محالٌ

أقتلكِ بطيشِ سهري

نومكِ يقظان

ويدي سهوُ رحيقٍ

لم يعد وحيداً

الصراخُ الذي

رسمَ بمفردهِ

الظلَّ أحجيةَ هواءٍ يحلم بجسدهِ

بين المياه

نطفةُ تهريبٍ

وأنا القائل لا تمدّوا صحونَ الأبراج

يا لون ....

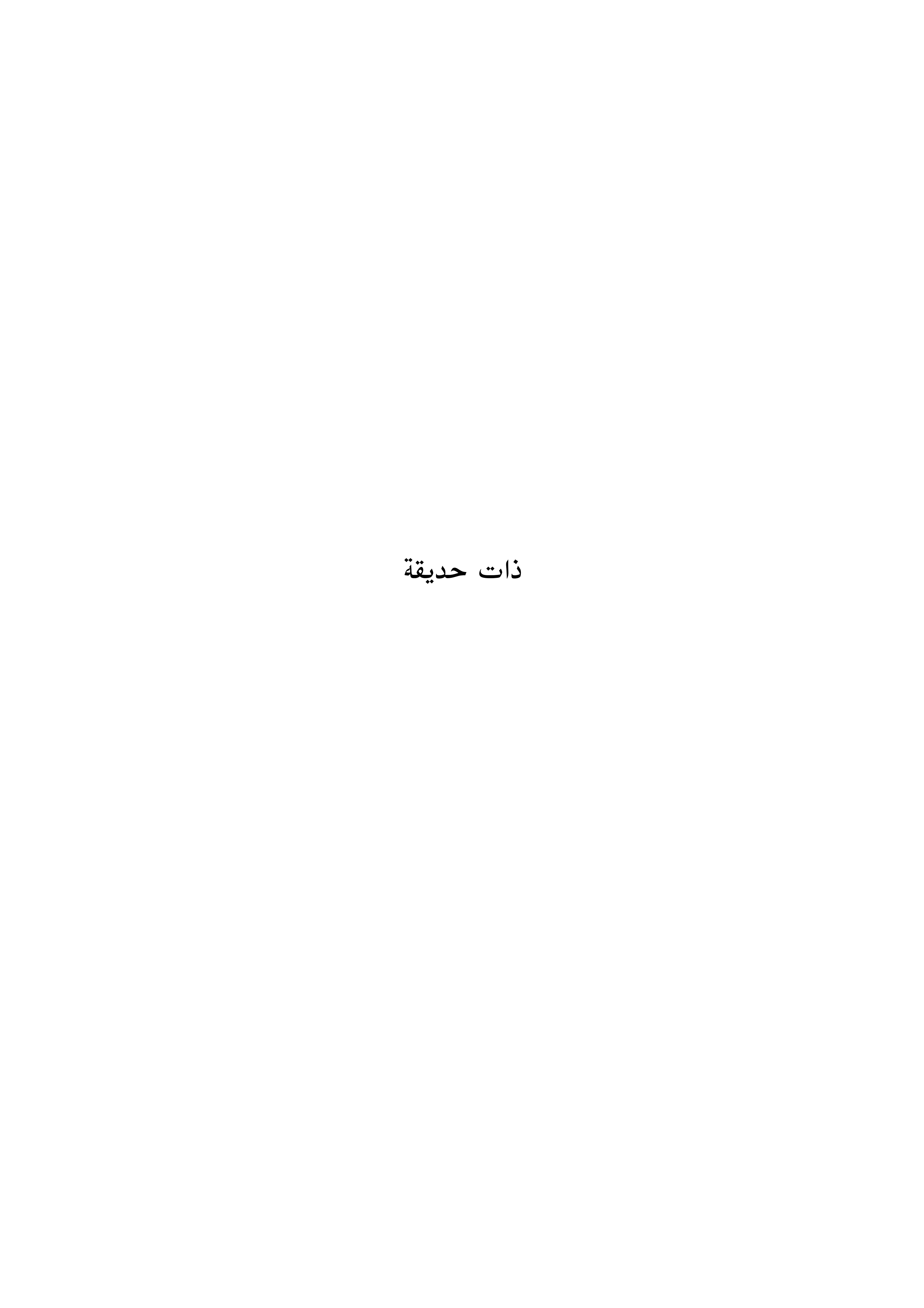
ينادون أمّكَ في ممرِّ الرعد فتشعل ناقةَ صمتها

وتصفق بابَ الحليب

سأفقأُ مشاةَ البريد

هناك عينٌ

تقرأ اللّومَ وملحقات البياض



ذات حديقة

أرى ظلاً

يمزِّق ثيابه

يتيم أحجياتٍ

أقرعُ بابَ صحراء

وكثبان سهر

أحتمي بآلة الصمت

وتهديد الضحك

غير آبهٍ بالفحيح

أحلم بالظلِّ

شحّاذَ هيئاتٍ

كما أنتَ بتماهٍ مشدوه حرِّر النوافذَ

الصحوُ فاكهة حريق

والنوم ثراء

ليست لدينا

قوارب نجاة

من جحيم المناداة

سواسيةً

كمقتولين

نذهبُ لنزهة الفكاهة

يقتسمنا ضجيجٌ أخرس

وأضغاث فرجٍ بهيم

قبل المحاربين وآلاتـهم

سقطتِ الدمعةُ

أثلامَ ضبابٍ :

مَن سرقَ الذخيرة ؟

مرآةٌ

تنظر في الوجه

وتتبدّد

شيّدتُ لعروس الفكاهة

عيدَ النوم

سأشتري باباً

للضحك ،

موعظةَ فطامٍ

لنهارٍ وأخوتهِ

يتسلّقون الأشلاءَ

يا حصاني ، ولستَ معي ،

لا تقفْ تحت شرفتها

إنها تمطر .. الهواءُ يختلج
وأنا أيضاً
لم أغادر منزلي

غسلتُ منكَ يديّ
يا ذهبَ السّكوت
ولي ممحاة جنٍّ

جوّالون
نسوا البنادقَ وعناوين الآثام
ظهروا فجأةً بين الشهداء
يكلِّمون الظلالَ التي تنتظر عودتهم للمنازل

كيف سأذهبُ للشارع
إذا لم يكن لي ظلّ شهيد

يا أمي

عندما وُلدتُ

هل كان ثمة ظلٌّ ينتظر

ظلَّهُ ؟

عرّفني بكِ ظلٌّ

حدَّثني عنه ظلِّي

صباحاً

نترك ظلالنا

ترشف الدعاء كأمهاتنا

حتى نعود

ظلّها المورَّد

يخطبه ظلِّي

يقودني الظلُّ من يدي
أقوده من ظلِّه
هكذا نقصِّر عمرَ الزمان

يوم الريح
جمعنا الدقيقَ كلّه ،
الشوكُ كان نائماً على بطنه

عندما يتعب ظلِّي
أستعير مكانه

أُبدِّد نومي على السّاهرين
يا يقظةً تتسوّل العيدَ ، يا فراغاً يستأجر السّمعَ

ذات حديقة

نام الظلُّ كثيراً

وأنا ..

حارسهُ الشخصيّ

كنتُ أُخوض حروباً بعيدة

حتى لا تسقط

المدنُ التي سقطتْ

قبل ولادتنا

دوارٌ

ذكرى دوارٍ كما جئتِ

بحيراتَ ظلالٍ ويحتشدُ هديلٌ نوزِّع يماماته على الساهرين

دوارٌ نفاجئه بطيش اللهاث

تواريخ :

نقلاً عن الفكاهة	22 / 4 / 2004
أرض ضحك متاخم الهتاف	3 / 5 / 2005
الفاغر سطوته على الزجاج	20 / 5 / 2005
الباب الساهر في الظلّ	2 / 5 / 2005
قرأتُ كفّها فجاء الليل	30 / 9 / 2006
ذات حديقة	1 / 10 / 2006
شائعة الفكاهة	18 / 10 / 2006